ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

إصلاحات السلطان عبدالحميد الثاني في الدولة العثمانية الجامعة الإسلامية أنموذجاً

إبراهيم العربـــي المرابط*
قسم الدراسات السياحية ، كلية الآداب جامعة الزاوية ، ليبيا
e.almrabit@zu.edu.ly

تاريخ الارسال 2026/2/2م تاريخ القبول 2026/3/11م

Sultan Abdulhamid II's Reforms in the Ottoman Empire: Pan-Islamism as a Model.

Ibrahim Al-Arabi Al-Mrabit
Department of Tourism Studies – Faculty of Arts, University of Zawiya
e.almrabit@zu.edu.ly

Abstract

This study examines the Pan-Islamic project of Sultan Abdulhamid II as a reformist and unifying model that sought to confront internal fragmentation and external colonial intervention in the late nineteenth and early twentieth centuries، It analyzes the intellectual and political foundations of the project, its mechanisms, and its role in strengthening internal cohesion and facing external challenges, while also assessing the reasons for its failure and decline، Using a historical-analytical approach, the study concludes that Pan-Islamism was a serious attempt to delay the collapse of the Ottoman state, but it failed to become a lasting institutional project due to intellectual transformations, political changes, and international pressures.

Keywords:Pan-Islamism, Sultan Abdulhamid II, Ottoman State, Reform, Islamic Unity, Caliphate.

الملخـــص :

تناولت هذه الدراسة مشروع الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بوصفه أنموذجًا إصلاحيًا وحدويًا سعى إلى مواجهة التفكك الداخلي والتدخل الاستعماري الخارجي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وتهدف الدراسة إلى تحليل الأسس الفكرية والسياسية للمشروع، وآليات عمله، ودوره في

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

تعزيز الوحدة الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية، مع تقويم أسباب فشله وانتهاء فاعليته، وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي في معالجة الوثائق والمصادر، وتخلص إلى أن الجامعة الإسلامية كانت محاولة جادة لتأخير انهيار الدولة العثمانية، لكنها أخفقت في التحول إلى مشروع مؤسسي دائم بسبب التحولات الفكرية والسياسية والضغوط الدولية.

الكلمات المفتاحية: الجامعة الإسلامية، السلطان عبد الحميد الثاني، الدولة العثمانية، الإصلاح، الوحدة الإسلامية، الخلافة.

مقدمة البحث:

شهد العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر تحولات عميقة مسّت بنيته السياسية والفكرية والحضارية، نتيجة تصاعد التدخل الاستعماري الأوروبي، وتراجع القوة السياسية والعسكرية للدولة العثمانية، وتفاقم الأزمات الداخلية التي أصابت مؤسساتها الإدارية والعسكرية والاجتماعية، وقد أفضت هذه التحولات إلى بروز تساؤلات كبرى حول مستقبل العالم الإسلامي، ومصير وحدته، وقدرته على الصمود أمام مشاريع الهيمنة والتقسيم، في ظل تزايد النزعات القومية والانفصالية داخل أراضيه.

في هذا السياق التاريخي المضطرب، برز السلطان عبد الحميد الثاني بوصفه أحد أبرز الشخصيات السياسية في أواخر العهد العثماني، حيث حاول أن يقدّم مشروعًا إصلاحيًا يسعى إلى إنقاذ الدولة من التفكك والانهيار، من خلال الجمع بين الإصلاح الداخلي، والتحديث الإداري والعسكري، وتعزيز التضامن الإسلامي في مواجهة الأخطار الخارجية، وقد تمثّل هذا المشروع بصورة واضحة في تبنّي فكرة الجامعة الإسلامية بوصفها إطارًا جامعًا يهدف إلى توحيد المسلمين روحيًا وفكريًا وسياسيًا حول الخلافة، في مواجهة التحديات الاستعمارية، ومحاولات اختراق العالم الإسلامي سياسيًا وثقافيًا.

لم تكن فكرة الجامعة الإسلامية مجرد دعوة دينية أو خطاب وعظي، بل جاءت في سياق سياسي حضاري واضح، استهدف إعادة بناء الشرعية العثمانية على أساس إسلامي جامع، وتعويض ما فقدته الدولة من قوة مادية بقدرة رمزية وروحية قادرة على تحريك الشعوب الإسلامية داخل الدولة وخارجها، كما مثّلت الجامعة الإسلامية محاولة لإعادة الاعتبار لمفهوم الخلافة باعتباره إطارًا للوحدة السياسية والحضارية، في مواجهة النزعات القومية الضيقة التي بدأت تتشكل في المشرق والمغرب الإسلامي تحت تأثير الفكر الغربي والواقع الاستعماري.

غير أن هذا المشروع، على الرغم من طموحه واتساع مداه، واجه تحديات كبرى

تمثلت في مقاومة القوى الأوروبية له، ومعارضة بعض النخب الداخلية، وتناقضاته مع التحولات الفكرية والسياسية التي عرفها العالم الإسلامي في تلك المرحلة، وهو ما أدى في النهاية إلى فشله وتراجع تأثيره، خاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني وانتصار التيارات الدستورية والقومية.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة مشروع السلطان عبد الحميد الثاني الإصلاحي من خلال نموذج الجامعة الإسلامية، بوصفه تجربة فكرية وسياسية هدفت إلى مواجهة أزمة الدولة العثمانية والعالم الإسلامي في لحظة تاريخية حرجة، وتحليل دوافعه، وأدواته، وحدوده، ونتائجه، بما يسمح بفهم أعمق لطبيعة الإصلاح في أواخر العهد العثماني، ولإشكالية العلاقة بين الدين والسياسة والوحدة والحداثة في الفكر الإسلامي الحديث.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من كثرة الكتابات التاريخية التي تناولت شخصية السلطان عبد الحميد الثاني، إلا أن أغلبها انقسم بين اتجاهين متناقضين: اتجاه يصوّره بوصفه حاكمًا مستبدًا معيقًا للإصلاح، واتجاه آخر يقدّمه بوصفه مصلحًا حاول إنقاذ الدولة العثمانية من الانهيار، دون تقديم تحليل علمي متوازن لمشروعه الإصلاحي في شموليته (الصلابي، 2013: 21)، كما ركزت بعض الدراسات على الجوانب السياسية والعسكرية من عهده، وأهملت البعد الفكري الحضاري المتمثل في فكرة الجامعة الإسلامية بوصفها مشروعًا إصلاحيًا متكاملًا (حرب، 2009: 42).

وتشير دراسات أخرى إلى أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تُدرس غالبًا إلا من زاوية ردّ الفعل على الاستعمار، دون تحليل عميق لبنيتها الفكرية وأدواتها العملية في توحيد المسلمين وتعزيز الشرعية العثمانية (دهاش، 2009: 102)، كما أن بعض الباحثين ركزوا على إخفاق المشروع دون ربطه بالتحديات الداخلية والخارجية التي حدّت من نجاحه (حلاق، 1999: 63).

وتؤكد دراسة صبرينة ساعد أن الجامعة الإسلامية لم تحظ بالتحليل الكافي كبرنامج إصلاحي شامل يجمع بين الإصلاح الداخلي ومواجهة الضغوط الخارجية، بل قُدمت في الغالب كخطاب سياسي أكثر من كونها مشروع دولة (ساعد، 2015: 42)، ومن هنا تتحدد مشكلة هذه الدراسة في وجود نقص في الدراسات التي تناولت فكرة الجامعة الإسلامية بوصفها نموذجًا إصلاحيًا مركزيًا في مشروع السلطان عبد الحميد الثاني، يربط بين الإصلاح الداخلي، وتعزيز الوحدة الإسلامية، ومواجهة التحديات الخارجية في إطار واحد متكامل.

تساؤلات الدراسة:

1. ما الأسس الفكرية والسياسية التي قامت عليها فكرة الجامعة الإسلامية عند السلطان عبد الحميد الثاني، وكيف تشكّل مشروعه الإصلاحي في ضوء هذه الفكرة؟
2. ما أبرز مظاهر الإصلاح الداخلي التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني، وكيف أسهمت في تعزيز الوحدة الداخلية داخل الدولة العثمانية؟
3. كيف واجه السلطان عبد الحميد الثاني التحديات الخارجية التي تعرضت لها الدولة العثمانية، وما دور الجامعة الإسلامية في هذه المواجهة؟
4. ما أسباب تعثر مشروع الجامعة الإسلامية وفشله في الاستمرار، وما أثر ذلك في مستقبل الوحدة الإسلامية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني؟

أهداف الدراسة:

ترتبط أهداف هذه الدراسة مباشرة بتساؤلاتها، ويمكن تحديدها فيما يأتي:

1. التعرف على الأسس الفكرية والسياسية التي قامت عليها فكرة الجامعة الإسلامية في مشروع السلطان عبد الحميد الثاني.
2. تحليل مظاهر الإصلاح الداخلي التي تبناها السلطان عبد الحميد، ودورها في تعزيز الوحدة الداخلية داخل الدولة العثمانية.
3. بيان طبيعة التحديات الخارجية التي واجهت الدولة العثمانية، ودور الجامعة الإسلامية في التعامل معها.
4. الكشف عن أسباب تعثر مشروع الجامعة الإسلامية وفشله في الاستمرار، وأثر ذلك في مستقبل الوحدة الإسلامية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار موضوع "إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية – الجامعة الإسلامية أنموذجًا" لعدة اعتبارات علمية وتاريخية وفكرية، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. أهمية المرحلة التاريخية التي يتناولها البحث، وهي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بوصفها مرحلة مفصلية في تاريخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، حيث تداخلت فيها عوامل الضعف الداخلي مع تصاعد الضغوط الاستعمارية الخارجية.

2. مركزية شخصية السلطان عبد الحميد الثاني في هذه المرحلة، باعتباره آخر السلاطين الذين حاولوا القيام بإصلاح شامل يستهدف إنقاذ الدولة العثمانية من الانهيار، وهو ما يجعل دراسة مشروعه الإصلاحي ضرورة لفهم أسباب فشل الدولة في البقاء واستمرار الخلافة.
3. ندرة الدراسات التي تناولت فكرة الجامعة الإسلامية بوصفها مشروعًا إصلاحيًا متكاملًا يجمع بين البعد الفكري والسياسي والعملي، إذ غالبًا ما تُعرض إما كخطاب ديني أو كرد فعل سياسي دون تحليل منهجي شامل.
4. الحاجة إلى إعادة قراءة تجربة الجامعة الإسلامية بعيدًا عن الأحكام الأيديولوجية المسبقة التي إما تمجّد التجربة دون نقد، أو تدينها بوصفها مشروعًا سلطويًا تقليديًا، وذلك من أجل الوصول إلى تقييم علمي متوازن لها.
5. ارتباط موضوع الجامعة الإسلامية بإشكالية الوحدة في العالم الإسلامي المعاصر، مما يمنح البحث بعدًا راهنًا يتجاوز الإطار التاريخي إلى أفق فكري وسياسي أوسع.
6. الرغبة في الإسهام في إثراء الدراسات العربية المعاصرة المتعلقة بالإصلاح السياسي والفكري في التاريخ الإسلامي الحديث، من خلال تقديم نموذج تاريخي قابل للتحليل والمقارنة.
7. أهمية الموضوع بالنسبة لتخصص التاريخ السياسي والفكري الحديث، لكونه يربط بين تطور الأفكار الإصلاحية والتحولات الواقعية في بنية الدولة والمجتمع.

أهمية الدراسة:

1، الأهمية العلميـــــة : تسهم هذه الدراسة في إثراء حقل الدراسات التاريخية والفكرية المتعلقة بالعهد العثماني المتأخر، من خلال تقديم قراءة تحليلية لمشروع السلطان عبد الحميد الثاني الإصلاحي عبر نموذج الجامعة الإسلامية، بما يساعد على تجاوز الطروحات التبسيطية التي تختزل التجربة في بعدها السياسي فقط، وإبراز أبعادها الفكرية والحضارية. كما تساعد الدراسة في تعميق الفهم العلمي لطبيعة العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر الإسلامي الحديث، من خلال تحليل كيفية توظيف فكرة الوحدة الدينية في إطار مشروع إصلاحي لمواجهة التفكك الداخلي والهيمنة الخارجية.

2، الأهمية التطبيقيـــــة : تفيد نتائج هذه الدراسة في الاستفادة من التجربة التاريخية للجامعة الإسلامية في فهم آليات بناء الوحدة والتضامن في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، خاصة في ظل ما يشهده العالم الإسلامي من أزمات تفكك وصراعات

داخلية. كما يمكن أن توظف نتائج البحث في مجالات التعليم والبحث وصناعة القرار الثقافي والفكري، من خلال تقديم نموذج تاريخي يبرز حدود وفاعلية المشاريع الوحدوية في سياقات سياسية متغيرة.

حدود الدراسة

1، الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على تحليل إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في الدولة العثمانية، مع التركيز على فكرة الجامعة الإسلامية بوصفها نموذجًا لمشروعه الإصلاحي.

2، الحدود المكانية: تنحصر الدراسة في المجال الجغرافي للدولة العثمانية، مع التركيز على الأقاليم ذات الصلة بتطبيق فكرة الجامعة الإسلامية، خاصة المشرق العربي والأناضول.

3، الحدود الزمانية: تغطي الدراسة الفترة الممتدة من تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم سنة 1876م حتى خلعه سنة 1909م.

4، الحدود البشرية: تقتصر الدراسة على شخصية السلطان عبد الحميد الثاني والنخب السياسية والفكرية المرتبطة بمشروع الجامعة الإسلامية في عهده.

الدراسات السابقة:

1- دراســـة: صبرينة ساعد (2015)، بعنوان:السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، هدفت الدراسة إلى التعرف على نشأة فكرة الجامعة الإسلامية في الفكر السياسي للسلطان عبد الحميد الثاني، وتحليل دوافع تبنيها وأبعادها الفكرية والسياسية، والكشف عن علاقتها بمحاولات الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية في ظل الضغوط الاستعمارية، وتكون مجتمع الدراسة من الكتابات التاريخية والسياسية المتعلقة بالعهد العثماني المتأخر، واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، واستخدمت تحليل الوثائق والمصادر الأولية والثانوية أداةً للدراسة، وأسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

ـ إن فكرة الجامعة الإسلامية شكّلت محورًا رئيسًا في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني لمواجهة التفكك الداخلي والهيمنة الخارجية.

ـ إن الجامعة الإسلامية كانت مشروعًا سياسيًا حضاريًا أكثر منها مجرد دعوة دينية، لكنها واجهت معارضة داخلية وضغطًا خارجيًا حدّ من فاعليتها.

2ـ **دراســـة :** الصادق دهاش (2009)، بعنوان :مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي بين 1876–1919م، وهدفت الدراسة إلى تحليل تطور فكرة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي، وبيان علاقتها

بالحركات التحررية المناهضة للاستعمار، والكشف عن دورها في تشكيل الوعي السياسي لدى النخب الإصلاحية، واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، واستخدمت تحليل الوثائق التاريخية والمراسلات السياسية والصحافة الإصلاحية أداةً للدراسة، وأسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

ـ أن فكرة الجامعة الإسلامية أسهمت في رفع مستوى الوعي السياسي المناهض للاستعمار في المغرب العربي.

ـ أن فاعلية الحركة تراجعت مع تصاعد القومية المحلية وتزايد التدخل الاستعماري المباشر.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تُظهر الدراسات السابقة التي تم استعراضها أنها قدّمت إسهامات مهمة في فهم مرحلة السلطان عبد الحميد الثاني، لكنها في الوقت نفسه تكشف عن جوانب نقص منهجي ومعرفي تبرّر الحاجة إلى الدراسة الحالية، فمن حيث موضوع الدراسة وزاوية التناول، ركزت دراسة صبرينة ساعد على فكرة الجامعة الإسلامية بوصفها سياسة عامة للسلطان، إلا أنها ـــ في الغالب ـــ تناولت الفكرة بوصفها إطارًا سياسيًا واسعًا دون تفكيكها ضمن محاور إصلاحية متسلسلة (التأسيس، الإصلاح الداخلي، تعزيز الوحدة، مواجهة الخارج) بما يسمح بتتبع تطورها خطوة بخطوة داخل بنية الدولة، وفي المقابل، اتجهت دراسة الصادق دهاش إلى رصد امتدادات الجامعة الإسلامية في المغرب العربي وربطها بالمقاومة والتحرر، لكنها نقلت مركز التحليل من إسطنبول إلى الأطراف، فغلب عليها تحليل أثر الفكرة خارج قلب القرار العثماني أكثر من تحليل آليات بنائها داخل السلطة المركزية، وهو ما يترك فجوة تتعلق بكيفية اشتغال الجامعة الإسلامية في سياق الإصلاح الداخلي العثماني نفسه.

أما من حيث المنهج والأداة، فإن أغلب الدراسات اعتمدت المنهج التاريخي التحليلي والوثائقي، وهو أمر مناسب لطبيعة الموضوع، غير أن بعض الأعمال خصصت اهتمامها لجانب واحد على حساب بقية الجوانب.

وبناءً على ذلك، تتمثل ميزة الدراسة الحالية في أنها ستتناول الجامعة الإسلامية بوصفها نموذجًا إصلاحيًا مركزيًا داخل مشروع السلطان عبد الحميد الثاني، عبر تقسيم تحليلي واضح يبدأ من التأسيس ثم ينتقل إلى الإصلاح الداخلي وتعزيز الوحدة الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية، وصولًا إلى آلية عمل الجامعة الإسلامية ثم أسباب فشلها وانتهاء فكرتها، كما أنها ستعمل على الربط بين ما تناوله السابقون بشكل متفرق: (الجامعة الإسلامية كفكرة سياسية) + (الإصلاحات كواقع مؤسسي) +

(المواجهة الخارجية كضغوط حقيقية) في إطار واحد متكامل يسمح بتفسير النتائج لا مجرد وصفها، بذلك تكون الدراسة الحالية مختلفة عن الدراسات السابقة من حيث وحدة الإطار التحليلي وشمول المحاور والتركيز على تفاعل الداخل والخارج في تشكيل مصير الجامعة الإسلامية.

المنهج المتبع في الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة الموضوع، وذلك من خلال تتبع نشأة فكرة الجامعة الإسلامية في سياقها الزمني والتاريخي، وتحليل الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية التي أحاطت بها، ورصد تطورها في إطار مشروع السلطان عبد الحميد الثاني الإصلاحي، وصولًا إلى بيان أسباب تعثرها وانتهاء فاعليتها.

كما توظف الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في عرض مظاهر الإصلاح الداخلي التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني، مثل الإصلاحات الإدارية والتعليمية والعسكرية، ووصف آليات عمل الجامعة الإسلامية، وتحليل مدى تأثيرها في تعزيز الوحدة الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية.

وتعتمد الدراسة في جمع مادتها العلمية على تحليل الوثائق والمصادر الأولية والثانوية، مثل المذكرات، والمراسلات السياسية، والكتب التاريخية، والدراسات الأكاديمية المعاصرة، مع توظيف النقد التاريخي للمصادر بهدف التحقق من صدقيتها، والمقارنة بينها، والكشف عن التحيزات المحتملة في بعض الروايات التاريخية.

وبذلك يجمع المنهج المتبع بين التتبع الزمني والتحليل التفسيري والمقارنة النقدية، بما يسمح بتقديم قراءة علمية متوازنة لمشروع الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، بعيدًا عن الأحكام المسبقة أو الطروحات الأيديولوجية.

تقسيمات الدراسة:

المحور الأول ـ التأسيس (الإطار المفاهيمي والفكري والسياسي للجامعة الإسلامية)

1ـ تمهيد تأسيسي ـ سياق نشأة الفكرة في القرن التاسع عشر:

تبلورت فكرة الجامعة الإسلامية في مناخ تاريخي اتسم بتزايد الضغط الاستعماري الأوروبي على الأقطار الإسلامية، وتراجع القوة العثمانية عسكريًا واقتصاديًا، واتساع النزعات القومية والانفصالية داخل الولايات، وهو ما جعل "الوحدة" تتحول من قيمة دينية عامة إلى حاجة سياسية واستراتيجية لحماية بقايا الدولة ومجالها الحيوي، في هذا السياق، لم يعد الإصلاح خيارًا ترفيًا، بل ضرورةً لبقاء الدولة، فظهر اتجاه

إصلاحي يربط بين النهضة الداخلية والتحصين الخارجي عبر استعادة مركزية الخلافة كرمز جامع للمسلمين. (حرب، 2009: 42)

ومن ثمّ، جاء "التأسيس" بوصفه مرحلة تمهيدية لازمة قبل أي تفعيل سياسي للجامعة الإسلامية؛ إذ يتطلب الأمر صياغة تصور فكري للهوية الجامعة، وإعادة ترتيب مفهوم الشرعية، وتحديد المجال الذي ستتحرك فيه الفكرة (داخل الدولة وخارجها)، ثم تحويلها إلى سياسة دولة، وقد دفع هذا الوضع عبدَ الحميد الثاني إلى تبني خطاب وحدوي يزاوج بين المرجعية الإسلامية والوظيفة السياسية للخلافة، باعتباره مسارًا لإنقاذ الدولة وتأخير انهيارها. (الصلابي، 2010: 21)

2- مفهوم الجامعة الإسلامية- ضبط المصطلح وحدوده:

يقصد بمفهوم الجامعة الإسلامية في الإطار التاريخي لعهد عبد الحميد الثاني: توجّهًا وحدويًا يهدف إلى جمع المسلمين على رابطة العقيدة والولاء الرمزي للخلافة، وتوظيف هذه الرابطة في تعزيز التماسك الداخلي للدولة العثمانية وربطها بالعالم الإسلامي الأوسع، وبذلك فهي ليست "شعارًا دينيًا" فحسب، بل تصور سياسي–حضاري يتأسس على اعتبار الخلافة محورًا للهوية الجامعة، في مقابل مشاريع التفكيك الاستعماري ونزعات القومية المتصاعدة. (ساعد، 2015: 42)

ومن المهم ضبط حدود المصطلح حتى لا يُساء فهمه: فالجامعة الإسلامية لا تعني إلغاء الخصوصيات المحلية أو الهويات الإقليمية، ولا تعني بالضرورة إقامة دولة واحدة اندماجية، بل تعني—في التطبيق الحميدي—إقامة مستوى من التضامن (عقائدي/فكري/سياسي) قادر على تعبئة الرأي العام الإسلامي، وتقوية شرعية الباب العالي، ورفع تكلفة الاعتداء الخارجي أو دعم الحركات الانفصالية. (سنو، 2005: 3)

3- الجذور الفكرية للجامعة الإسلامية- من الإصلاح الإسلامي إلى فكرة التضامن:

لم تنشأ الجامعة الإسلامية من فراغ؛ فقد سبقتها حركة إصلاح إسلامي واسعة في القرن التاسع عشر، حملت همّ تجديد التعليم والفكر ومقاومة الجمود، والتنبيه إلى مخاطر الاستعمار الثقافي والسياسي، هذه الحركة أسهمت في تحويل "وحدة الأمة" من معنى وعظي إلى مبدأ عمل يقوم على: إحياء الوعي الديني، وبناء التعليم، وتقوية المجال العام الإسلامي، ثم الانتقال إلى أشكال من التنسيق والتضامن بين المسلمين. (دهاش، 2009: 102)

وتشير الأدبيات إلى أن عبد الحميد الثاني استثمر هذا المناخ الإصلاحي لصالح الدولة، فكان "التأسيس" عنده قائمًا على التقاط الحس الإصلاحي العام وإعادة توجيهه نحو مركزية الخلافة، بحيث تصبح الجامعة الإسلامية أداة مشروعة لتوحيد المسلمين

حول السلطة المركزية بدل أن تتحول طاقة الإصلاح إلى معارضة داخلية تُسهم في التفكيك. (الصلابي، 2010: 21)

4ـ دوافع عبد الحميد الثاني لتبنّي الجامعة الإسلاميةـ شرعية الخلافة وتحديات البقاء:

يمكن ردّ دوافع السلطان عبد الحميد الثاني لتبنّي الجامعة الإسلامية إلى بُعدين متكاملين:

ـ بعد داخلي: يتمثل في الحاجة إلى تقوية ولاء الولايات المتنوعة (عرقيًا ولغويًا) وربطها بمركز الدولة، واحتواء التيارات الدستورية/القومية التي كانت قابلة لتفجير الداخل، عبر تقديم الخلافة كمرجعية جامعة تضبط المجال السياسي وتمنحه معنى دينيًا أعلى. (سنو، 2005: 3)

ـ بعد خارجي: يتمثل في توظيف القوة الرمزية للعالم الإسلامي في مواجهة التدخل الأوروبي، ورفع الحرج السياسي عن القوى الاستعمارية عبر جعل الاعتداء على الدولة العثمانية اعتداءً على "كيان الخلافة" في الوعي الإسلامي. (حرب، 1991: 42)

وتكشف المذكرات والسرديات المعاصرة أن عبد الحميد كان يعي مركزية البعد الإسلامي في الشرعية؛ لذلك سعى إلى صناعة صورة "الخليفة" لا "الملك" فقط، بما يضمن له نفوذًا معنويًا يتجاوز حدود الدولة إلى المسلمين خارجها. (أوغلي، 1991: 68–69)

5ـ مرتكزات "التأسيس" في سياسة الدولة: من الفكرة إلى الإطار السياسي:

لا يكتمل "التأسيس" بمجرد إعلان الفكرة؛ بل يتطلب بناء مرتكزات عملية تجعلها قابلة للتحول إلى سياسة، ويمكن إبراز أهم مرتكزات التأسيس في عهد عبد الحميد الثاني في:

1ـ ترسيخ مركزية الخلافة بوصفها الإطار الجامع الذي تُقرأ من خلاله علاقة الولايات بالمركز، وتُبنى من خلاله شبكة الولاء والشرعية. (الصلابي، 2010: 21)

2ـ تقديم الجامعة الإسلامية كسياسة دولة لا كتيار فكري، أي تحويلها إلى خطاب رسمي موجه للداخل والخارج، يستثمر الرمزية الدينية لتعزيز الاستقرار(ساعد، 2015: 42)

3ـ **تحديد وظيفة الفكرة**: الجامعة الإسلامية عند عبد الحميد لم تكن بديلًا عن الإصلاح الداخلي، بل "مظلّة" تمنح الإصلاح شرعية وتكسبه قبولًا اجتماعيًا، وتساعد على تعبئة المجال العام خلف الدولة بدل تفككه. (حرب، 2009: 42)

وبذلك يمكن القول إن مرحلة التأسيس انتهت إلى صياغة معادلة حميدية مفادها: إصلاح داخلي يُدعَّم بشرعية الخلافة، وتماسك داخلي يُصان بخطاب الجامعة الإسلامية، ومواجهة خارجية تُقوّى باستنهاض التضامن الإسلامي—وهي المعادلة التي سنفصل مظاهرها في المحورين التاليين.

المحور الثانـــــي - الإصلاح الداخلـــــي:

لم ينظر السلطان عبد الحميد الثاني إلى الجامعة الإسلامية بوصفها بديلًا عن الإصلاح الداخلي؛ بل بوصفها مظلة رمزية تمنح هذا الإصلاح شرعية وتماسكًا اجتماعيًا، إذ لا يمكن لمشروع وحدوي أن ينجح في ظل دولة ضعيفة إداريًا، أو جيش مترهل، أو نظام تعليمي متخلف، لذلك كان الإصلاح الداخلي عنده شرطًا سابقًا وضروريًا لإنجاح أي سياسة وحدوية أو خارجية. (حسن عيسى، د.ت: 113؛ مانتران، 1992: 245)

1- الإصـــــلاح الإداري: سعى عبد الحميد الثاني إلى إعادة تنظيم الجهاز الإداري للدولة بهدف تقليص الفساد، وتعزيز مركزية القرار، وتحقيق قدر أكبر من الانضباط المؤسسي، فعمل على تقوية سلطة الباب العالـــي، وربط الولايات مباشرة بالعاصمة، والحد من نفوذ الزعامات المحلية التي كانت تميل إلى الاستقلال أو التحالف مع القوى الأجنبية. (غربي، 2007: 91؛ شمس الدين، 2010: 214) ، كما اعتمد السلطان على النخب الإدارية المتعلمة حديثًا في إدارة شؤون الدولة، بدلًا من الاعتماد على الامتيازات الوراثية أو العصبيات المحلية، مما أدى إلى نشوء طبقة بيروقراطية جديدة أكثر ارتباطًا بالدولة المركزية. (نوار، د.ت: 187؛ شاكر، 2000: 312)

2- الإصلاح التعليمـــــي: اعتبر السلطان التعليم أداة استراتيجية لإعادة بناء الدولة والمجتمع، فعمل على توسيع شبكة المدارس الحديثة، وإدخال العلوم التطبيقية، والاهتمام بالترجمة، وإنشاء مدارس فنية وعسكرية وطبية لتزويد الدولة بكفاءات محلية. (أوغلي، 1999: 287؛ سحري، 2008: 114) ، كما شجّع على الجمع بين التعليم الديني والتعليم الحديث، في محاولة لإنتاج نخب تجمع بين الولاء الديني والكفاءة الإدارية، وهو ما يعكس رؤيته التوفيقية بين الأصالة والمعاصرة. (البيهمي، د.ت: 67؛ معاليقي، د.ت: 141)

3- الإصلاح العســـــكري: أدرك عبد الحميد أن ضعف الجيش هو أحد أهم أسباب التدخل الأوروبي، فسعى إلى إعادة تنظيمه، وتحديث معداته، والاستعانة بالخبرات الأجنبية دون التفريط في السيطرة الوطنية عليه، كما عمل على الحد من نفوذ الانكشارية وإخضاع المؤسسة العسكرية للسلطة المركزية. (العظم، 1902: 88؛ فنا دولينا، 1999: 211) ، وكان الهدف من هذا الإصلاح ليس التوسع العسكري، بل الردع والحفاظ على وحدة الدولة ومنع تفككها تحت الضغط الخارجي. (لورانس، د.ت: 97؛ فازان، 1992: 143)

4- الإصلاح الاقتصادي والمالي: سعى السلطان إلى ضبط المالية العامة، وتقليل الاعتماد على القروض الأجنبية، وتنظيم الضرائب، وتشجيع الزراعة والتجارة، وتطوير البنية التحتية كالسكك الحديدية والموانئ، لتعزيز الاستقلال الاقتصادي

للدولة. (هولاكو، 2011: 14؛ الماضي، 1988: 51) ، وكان هذا الإصلاح مرتبطًا مباشرة بمحاولة فك الارتهان الاقتصادي للأوروبيين، لأن التبعية المالية كانت مدخلًا رئيسًا للتدخل السياسي. (حمدان، 1990: 77؛ الخراشي، د.ت: 102)

المحور الثالث ـ تعزيز الوحدة الداخليـــــة:

جاء تبني السلطان عبد الحميد الثاني لفكرة الجامعة الإسلامية في سياق داخلي شديد التعقيد، اتسم بتصاعد النزعات القومية، واتساع الفوارق الثقافية والعرقية بين مكونات الدولة العثمانية، وتزايد التدخل الأوروبي في شؤون الأقليات، وهو ما جعل مسألة الوحدة الداخلية تمثل تحديًا وجوديًا للدولة، ولم تعد الوحدة مجرد قيمة أخلاقية أو دينية، بل تحولت إلى ضرورة سياسية لضمان بقاء الدولة واستمرار شرعيتها. (نوار، د.ت: 233؛ غربي، 2007: 88)، وقد سعى السلطان إلى تحويل الجامعة الإسلامية إلى إطار جامع يعيد ترتيب الولاءات من الولاءات المحلية والعرقية إلى ولاء أوسع للخلافة، دون إلغاء الخصوصيات، بل عبر احتوائها داخل إطار رمزي جامع يمنحها معنى سياسيًا جديدًا. (سنو، 2005: 4؛ معاليقي، د.ت: 153)

1- الجامعة الإسلامية كإطار لإعادة بناء الهوية الجامعة: لم يكن التحدي الأكبر أمام الدولة العثمانية هو التنوع في حد ذاته، بل تحوّل هذا التنوع إلى مصدر صراع سياسي بفعل تدخل القوى الأوروبية التي استثمرت في خطاب "حماية الأقليات" لتفكيك الدولة من الداخل، لذلك حاول عبد الحميد إعادة بناء مفهوم الهوية من خلال تقديم الإسلام باعتباره الرابطة العليا التي تتجاوز الانتماءات العرقية واللغوية. (حسن عيسى، د.ت: 118؛ شمس الدين، 2010: 231) ، وقد أسهم هذا الخطاب في إبطاء تشكل وعي انفصالي شامل في بعض الولايات، خصوصًا في المشرق العربي، حيث ظل الولاء الديني للخلافة حاضرًا بقوة في الوجدان الشعبي رغم صعود القومية. (سنو، 2005: 7؛ الصلابي، 2010: 57)

3- توظيف المؤسسات الدينية والتعليمية في ترسيخ الوحدة: اعتمد السلطان على المؤسسات الدينية والتعليمية بوصفها أدوات لتشكيل الوعي الجمعي، فدعم المدارس الدينية، وأعاد تنظيم الأزهــر والمؤسسات الشرعية، وربط التعليم الديني بخطاب الولاء للخلافة، دون أن يقطع مع التعليم الحديث(أوغلي، 1999: 291؛ البيهمي، د.ت: 69)، وكان الهدف من ذلك بناء نخبة مثقفة ترى في الخلافة إطارًا حضاريًا، لا مجرد سلطة سياسية،وهو ما يعزز التماسك الاجتماعي طويل المدى.(معاليقي،د.ت: 158؛عمارة، 1988: 73)

4- الجامعة الإسلامية كأداة للربط بين المركز والأطـراف: لم تكن الجامعة الإسلامية موجهة إلى الداخل العثماني فقط، بل استُخدمت أيضًا لربط المسلمين خارج حدود

الدولة بالخلافة، مما أعطى الدولة عمقًا رمزيًا يتجاوز حدودها السياسية، وقد عزز ذلك من مكانة الباب العالي بوصفه مرجعية للمسلمين، وحدّ من عزلة الدولة في محيطها. (لورانس، د.ت: 103؛ حلاق، 1999: 71)، كما سمح هذا التمدد الرمزي بتحويل الصراع من صراع دولة ضعيفة مع قوى عظمى إلى صراع يمسّ وجدان الأمة الإسلامية بأسرها، وهو ما رفع تكلفة الاعتداء السياسي والأخلاقي على الدولة العثمانية. (حمدان، 1990: 81؛ الماضي، 1988: 55)

5- حدود فاعلية مشروع الوحدة الداخلية: رغم هذه الجهود، بقي مشروع تعزيز الوحدة الداخلية محدود الفاعلية، بسبب عمق الانقسامات الاجتماعية، وتسارع التحولات الفكرية، وتدخل القوى الخارجية، وتناقضات التحديث ذاته الذي أنتج وعيًا جديدًا أقل قابلية للضبط الرمزي. (حلمى، 2004: 127؛ مسعود وآخرون، 1995: 211)

وهكذا يمكن القول إن الجامعة الإسلامية نجحت في تأجيل التفكك أكثر من منعِه، وفي احتواء الصراع أكثر من حله جذريًا، وهو ما يفسر انتقال الأزمة من مستوى رمزي إلى مستوى سياسي مباشر بعد خلع السلطان. (سنو، 2005: 9؛ دهاش، 2009: 109)

المحور الرابـــع ـ مواجهة التحديات الخارجية:

واجهت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني منظومة مركبة من التحديات الخارجية، تمثلت في تصاعد الأطماع الاستعمارية الأوروبية، والتنافس الدولي على ممتلكات "الرجل المريض"، وتنامي النفوذ الاقتصادي والسياسي الأجنبي داخل أراضي الدولة، إضافة إلى بروز المشروع الصهيوني في فلسطين بوصفه تهديدًا استيطانيًا طويل الأمد، ولم يكن التعامل مع هذه التحديات ممكنًا بالوسائل العسكرية وحدها، بسبب اختلال ميزان القوى، فاضطر السلطان إلى انتهاج سياسة مركبة تجمع بين الدبلوماسية، والاحتواء، والمناورة، والتعبئة الرمزية عبر الجامعة الإسلامية) .لورانس، د.ت: 97؛ فنا دولينا، 1999: 233)

1- مواجهة التنافس الاستعماري الأوروبي: شهد أواخر القرن التاسع عشر تصاعد التنافس بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا على مناطق النفوذ داخل الدولة العثمانية، خاصة في البلقان، والمشرق العربي، والأناضول، وهو ما جعل الدولة ساحة مفتوحة للصراع الدولي، وقد سعى عبد الحميد إلى استغلال هذا التنافس لصالحه عبر سياسة توازن القوى، بحيث يمنع احتكار دولة واحدة للنفوذ داخل الدولة، ويُبقي كل قوة محتاجة إلى الدولة العثمانية كوسيط أو شريك. (لورانس، د.ت: 101؛ حلاق، 2007: 45) ، كما لجأ السلطان إلى إبرام اتفاقات اقتصادية وعسكرية محدودة، خاصة مع

ألمانيا، دون أن يسمح بتحولها إلى سيطرة سياسية شاملة، محاولًا الحفاظ على هامش استقلال القرار العثماني. (فنا دولينا، 1999: 245؛ مانتران، 1992: 311)

2- التصدي للمشروع الصهيوني في فلسـطين: مثّل المشروع الصهيوني أحد أخطر التحديات الخارجية التي واجهت الدولة العثمانية، لأنه لم يكن مجرد ضغط سياسي، بل مشروع استيطاني يهدف إلى اقتلاع الأرض والهوية، وقد اتخذ عبد الحميد موقفًا صلبًا برفض بيع الأراضي، ومنع الهجرة اليهودية المنظمة، وإصدار فرمانات تقيد الإقامة والاستيطان في فلسطين. (حلاق، 1999: 63؛ النتشة، 1991: 47) ، كما عمل السلطان على إخراج القدس من الإدارة المحلية وجعلها سنجقًا تابعًا مباشرة للباب العالي، في محاولة لحمايتها من الاختراق السياسي والاستيطاني. (حرب، 1991: 122؛ جبارة، 2015: 195)

3- **التعامل مع التدخل الأوروبي في شؤون الأقليات:** استثمرت القوى الأوروبية خطاب "حماية الأقليات" ذريعة للتدخل السياسي والعسكري في شؤون الدولة العثمانية، خاصة في البلقان وبلاد الشام والأناضول، وقد حاول عبد الحميد تفكيك هذا الخطاب عبر تحسين أوضاع الأقليات إداريًا، ومنحها حقوقًا قانونية، وإدماج نخبها في مؤسسات الدولة، دون السماح بتحول هذه الحماية إلى وصاية سياسية. (شمس الدين، 2010: 241؛ غربي، 2007: 104)، كما استخدم السلطان خطاب الجامعة الإسلامية لتقوية موقع المسلمين سياسيًا وأخلاقيًا في مواجهة خطاب الحماية الأوروبي، وإعادة تأطير العلاقة بين المركز والأقليات ضمن منطق المواطنة العثمانية بدل الوصاية الأجنبية. (نوار، د.ت: 263؛ حسن عيسى، د.ت: 127)

4- توظيف الجامعة الإسلامية في السياسة الخارجية: لم تكن الجامعة الإسلامية أداة داخلية فقط، بل استُخدمت في السياسة الخارجية بوصفها وسيلة لتوسيع النفوذ الرمزي للدولة العثمانية، وبناء شبكة علاقات مع المسلمين في آسيا وإفريقيا، وإيجاد نوع من "الرأي العام الإسلامي" الداعم للدولة. (دهاش، 2009: 109؛ ساعد، 2015: 67)، وقد أسهم ذلك في إرباك الحسابات الاستعمارية، لأن أي اعتداء مباشر على الدولة أصبح يُقرأ في الوعي الإسلامي بوصفه اعتداءً على الخلافة، وهو ما جعل القوى الأوروبية تحسب حساب ردود الفعل الشعبية والدينية في مستعمراتها الإسلامية. (حمدان، 1990: 85؛ لورانس، د.ت: 109)

5- حدود سياسة المواجهة الخارجية: على الرغم من هذه الجهود، ظلت قدرة الدولة العثمانية على مواجهة التحديات الخارجية محدودة بسبب ضعفها العسكري والاقتصادي، وتناقضات الإصلاح الداخلي، وتسارع التحولات الدولية، مما جعل سياسة عبد الحميد تقوم على إدارة الأزمة أكثر من حلها. (حلمي، 2004: 133؛ مسعود وآخرون، 1995: 219)

وهكذا، نجحت هذه السياسة في تأجيل الانهيار، لكنها لم تمنعه، خاصة بعد أن فقدت الدولة عنصر المناورة الرئيسي بسقوط عبد الحميد وصعود التيار الدستوري المرتبط بالقوى الأوروبية. (سنو، 2005: 9؛ مانتران، 1992: 319)

المحور الخامس ـ آلية عمل الجامعة الإسلامية:

لم تكن الجامعة الإسلامية مجرد خطاب نظري أو شعار سياسي، بل جرى تحويلها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إلى منظومة عمل متكاملة، استُخدمت فيها أدوات الدولة المختلفة من تعليم وإعلام ودبلوماسية ومؤسسات دينية وإدارية، بهدف إنتاج ولاء عابر للأقاليم، وتشكيل وعي جمعي يرى في الخلافة مركزًا جامعًا للمسلمين، وقد قامت هذه الآلية على المزج بين القوة الرمزية والقوة المؤسسية، أي الجمع بين الشرعية الدينية والوظيفة السياسية. (ساعد، 2015: 74؛ دهاش، 2009: 112)، كما اعتمدت هذه الآلية على فكرة أن التأثير طويل المدى لا يتحقق بالقهر أو القرارات الفوقية فقط، بل ببناء شبكات تواصل وتأثير تمتد من إسطنبول إلى العالم الإسلامي، وتخاطب النخب والعامة في آن واحد، وهو ما منح الجامعة الإسلامية قدرة على العمل داخل المجالين السياسي والثقافي معًا. (لورانس، د.ت: 115؛ أوغلي، 1999: 301)

1. الدور التعليمي في ترسيخ الجامعة الإسلامية: جعل عبد الحميد من التعليم إحدى أهم أدوات تفعيل الجامعة الإسلامية، فعمل على توسيع شبكة المدارس والمعاهد في مختلف الولايات، وربط المناهج بخطاب الولاء للخلافة والوحدة الإسلامية، بحيث يُقدَّم الإسلام ليس فقط باعتباره دينًا، بل إطارًا حضاريًا جامعًا، وتُقدَّم الدولة العثمانية بوصفها حامية لهذا الإطار. (البيهمي، د.ت: 73؛ سحري، 2008: 121)، وقد أسهم هذا التوجه في تشكيل جيل من المتعلمين الذين جمعوا بين المعرفة الحديثة والانتماء الديني، وهو ما خفف من حدة القطيعة بين التعليم الحديث والهوية الإسلامية، ومنع تحول المدارس إلى مصانع لإنتاج وعي انفصالي أو معادٍ للدولة. (معاليقي، د.ت: 165؛ عمارة، 1988: 81)

2-الإعلام والخطاب الرسمي: استثمرت الدولة العثمانية الصحافة، والمطبوعات الرسمية، والخطب الدينية، في نشر خطاب الجامعة الإسلامية، حيث جرى توحيد الرسائل الموجهة إلى الولايات حول مركزية الخلافة، وأهمية الوحدة، وخطورة التدخل الأجنبي، وقد أسهم هذا الخطاب في خلق سردية مشتركة تُعيد تفسير الأزمات بوصفها اعتداءات على الأمة لا مجرد صراعات سياسية. (غربي، 2007: 111؛ شمس الدين، 2010: 248)، كما استُخدم هذا الخطاب في مواجهة الخطاب الاستعماري الذي كان يقدم التدخل الأوروبي بوصفه "تمدينًا" أو "حماية"، إذ أعاد تأطير هذا التدخل بوصفه

استعمارًا يهدد الهوية والسيادة، وهو ما رفع مستوى الوعي السياسي لدى الجمهور الإسلامي. (حمدان، 1990: 92؛ درويش، 1998: 91)

3- **المؤسسة الدينية كوسيط للشـــرعية:** اعتمد السلطان على العلماء، والمشايخ، والمؤسسات الدينية في نشر فكرة الجامعة الإسلامية، ومنحها مشروعية دينية، بحيث لا تُفهم بوصفها سياسة سلطوية، بل واجبًا دينيًا وأخلاقيًا، وقد أدى ذلك إلى تحويل الخطاب الديني إلى عنصر دعم للسلطة بدل أن يكون أداة معارضة لها. (سنو، 2005: 11؛ حسن عيسى، د.ت: 131)، وساعد هذا التوظيف في إعادة بناء العلاقة بين الدولة والمؤسسة الدينية على أساس الشراكة في حفظ وحدة الأمة، بدل الصراع، وهو ما أكسب الدولة دعمًا اجتماعيًا واسعًا، خاصة في البيئات التقليدية. (البيهمي، د.ت: 79؛ معاليقي، د.ت: 169)

4- العلاقات مع العالم الإسلامي خارج حدود الدولة: سعت الدولة إلى مدّ جسور التواصل مع المسلمين في الهند وآسيا الوسطى وإفريقيا، عبر البعثات، والمراسلات، والدعم الرمزي، وهو ما خلق إحساسًا بوجود مركز روحي وسياسي للمسلمين حتى خارج حدود الدولة العثمانية. (دهاش، 2009: 115؛ لورانس، د.ت: 119)، وقد جعل هذا التمدد الرمزي من الدولة العثمانية فاعلًا يتجاوز حدودها، وأعطاها وزنًا أخلاقيًا في السياسة الدولية، رغم ضعفها المادي، وهو ما يفسر الحذر الأوروبي في التعامل معها في بعض الملفات. (حمدان، 1990: 95؛ فنا دولينا، 1999: 251)

5- حدود فاعلية آلية العمـــل: رغم هذه الشبكة الواسعة من الأدوات، ظلت فاعلية الجامعة الإسلامية محدودة بسبب التناقض بين خطاب الوحدة وواقع الضعف الاقتصادي والعسكري، وبسبب تســارع التحولات الفكرية التي جعلت الأجيال الجديدة أقل ارتباطًا بالمرجعيات التقليدية. (حلمي، 2004: 139؛ مسعود وآخرون، 1995: 227)، كما أن اعتماد الدولة على الرمزية أكثر من القوة المادية جعل المشروع عرضة للانهيار السريع عند فقدان مركزه، وهو ما حدث بالفعل بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، حيث تراجعت الجامعة الإسلامية سريعًا وفقدت وظيفتها السياسية. (سنو، 2005: 13؛ مانتران، 1992: 325)

المحور السادس ـ فشل الجامعة الإسلامية وانتهاء فكرتها:

لم يكن فشل مشروع الجامعة الإسلامية نتيجة عامل واحد مباشر، بل جاء حصيلة تفاعل معقد بين عوامل داخلية بنيوية وأخرى خارجية ضاغطة، إضافة إلى تحولات فكرية وسياسية عميقة تجاوزت قدرة الدولة العثمانية على الاستيعاب والاحتواء، فالجامعة الإسلامية، رغم ما امتلكته من قوة رمزية وتأثير معنوي، ظلت مشروعًا يعمل داخل بنية دولة تعاني من ضعف اقتصادي، وتفكك إداري، وضغط عسكري

خارجي مستمر، وهو ما حدّ من قدرتها على التحول إلى مشروع سياسي فعّال طويل الأمد. (حلمي، 2004: 141؛ مانتران، 1992: 327)، كما أن المشـــروع كان مرتبطًا بشخص السلطان عبد الحميد الثاني نفسه، لا بمؤسسات راسخة تحمله بعد غيابه، وهو ما جعله هشًا أمام التحولات السياسية المفاجئة، خاصة انقلاب جمعية الاتحاد والترقي وخلع السلطان سنة 1909، حيث سقطت الفكرة بسقوط حاملها السياسي. (سنو، 2005: 15؛ دهاش، 2009: 118)

1- العوامل الداخلية لفشل المشـــــروع: كان من أهم أسباب الفشل استمرار ضعف البنية الاقتصادية للدولة، حيث عانت الخزينة من العجز المزمن والديون الخارجية، مما حدّ من قدرة الدولة على تمويل مشاريع الإصلاح والتعليم والبنية التحتية، وهي المجالات التي كان يُفترض أن تدعم مشروع الوحدة من الداخل، فخطاب الوحدة لم يكن قادرًا وحده على تعويض التفاوت التنموي بين الولايات أو معالجة الفقر والتهميش الاجتماعي. (حمدان، 1990: 99؛ الخراشي، د.ت: 115)، كما أن البيروقراطية العثمانية نفسها كانت تعاني من الترهل والفساد في بعض المستويات، وهو ما أضعف ثقة السكان بالدولة، وجعل خطاب الوحدة يبدو في بعض الأحيان خطابًا فوقيًا لا ينعكس على واقعهم المعيشي، مما قلل من قابليته للتجذر الاجتماعي العميق. (غربي، 2007: 119؛ نوار، د.ت: 271)

2ـ التحولات الفكرية والسياسية الحديثة: تزامن مشروع الجامعة الإسلامية مع صعود أفكار القومية، والدستورية، والليبرالية السياسية، التي قدمت بدائل جديدة للشرعية والانتماء، قائمة على اللغة أو الأمة أو العقد الاجتماعي، بدل المرجعية الدينية التقليدية، وقد جذب هذا الخطاب قطاعات واسعة من النخب المتعلمة، خاصة في المدن الكبرى، مما جعل الجامعة الإسلامية تبدو في نظر البعض مشروعًا محافظًا أو تقليديًا لا يستجيب لتطلعات التحديث السياسي. (أنطونيوس، 1987: 121؛ حلمي، 2004: 146) كما أن النخب الجديدة رأت في الخلافة إطارًا ماضويًا لا يصلح لإدارة دولة حديثة، وهو ما أدى إلى تآكل الشرعية الرمزية التي كانت الجامعة الإسلامية تستند إليها، خاصة بعد توسع التعليم الحديث وتأثير الفكر الغربي في الوعي السياسي للنخب. (درويش، 1998: 97؛ معاليقي، د.ت: 177)

3- الضغط الخارجي وتسارع التحولات الدولية: لم يكن السياق الدولي في صالح الدولة العثمانية، فقد تزامن مشروع الجامعة الإسلامية مع مرحلة توسع استعماري أوروبي شرس، لم يكن يسمح بقيام قوة رمزية أو سياسية منافسة في العالم الإسلامي، وقد واجهت الدولة ضغوطًا عسكرية واقتصادية متزايدة، جعلتها في موقع دفاع دائم،

وغير قادرة على المبادرة أو فرض رؤيتها على النظام الدولي. (لورانس، د.ت: 123؛ فنا دولينا، 1999: 259) ، كما أن القوى الأوروبية عملت على تقويض فكرة الجامعة الإسلامية عبر دعم الحركات القومية والانفصالية، والتشكيك في شرعية الخلافة، وتشويه صورة الدولة في الصحافة الدولية، وهو ما أسهم في عزل المشروع دوليًا وإضعاف أثره الخارجي. (حلاق، 1999: 77؛ دهاش، 2009: 121)

4- خلع السلطان عبد الحميد وانهيار المشـــــروع: مثّل خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909 لحظة فاصلة في تاريخ الدولة العثمانية، إذ لم يكن مجرد تغيير في الحكم، بل تحول في طبيعة النظام السياسي ذاته، من سلطة تستند إلى الشرعية الدينية إلى نظام دستوري قومي الطابع، مما أفقد الجامعة الإسلامية وظيفتها السياسية بالكامل. **(سنو، 2005: 17؛ مانتران، 1992: 331)**، ومع صعود جمعية الاتحاد والترقي، جرى تبني خطاب قومي تركي علماني، استبعد المرجعية الإسلامية من المجال السياسي، وهو ما أنهى فعليًا مشروع الجامعة الإسلامية بوصفه سياسة دولة، وحوّله إلى فكرة تاريخية فقدت حاملها المؤسسي. (حلمي، 2004: 149؛ درويش، 1998: 101)

5- تقويم شامل للفشـــــل: يمكن القول إن الجامعة الإسلامية نجحت في تأجيل التفكك العثماني، وخلق حدٍّ أدنى من التضامن الرمزي، لكنها فشلت في التحول إلى مشروع مؤسسي قادر على الاستمرار بعد غياب صاحبه، كما عجزت عن مجاراة التحولات الفكرية والسياسية العميقة التي كانت تعيد تشكيل العالم في مطلع القرن العشرين. (دهاش، 2009: 123؛ حلمي، 2004: 151)

وبذلك فإن فشلها لم يكن فشل فكرة بقدر ما كان فشل بنية تاريخية كاملة لم تعد قادرة على حمل مشروع وحدوي واسع في عالم يتجه نحو الدولة القومية والنظام الدولي الحديث.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة مشروع الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بوصفه أحد أهم المحاولات الإصلاحية الوحدوية في تاريخ الدولة العثمانية المتأخر، وسعت إلى تحليل أسسه الفكرية والسياسية، وآليات عمله، وأدواره في تعزيز الوحدة الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية، وصولًا إلى تقويم أسباب فشله وانتهاء فاعليته.

وقد بيّنت الدراسة أن الجامعة الإسلامية لم تكن مجرد شعار ديني أو خطاب تعبوي، بل كانت سياسة دولة متكاملة، هدفت إلى إعادة بناء الشرعية العثمانية على أساس ديني–حضاري جامع، في مواجهة التفكك الداخلي والهيمنة الاستعمارية الخارجية،

فقد مثّلت هذه الفكرة محاولة لإعادة توظيف الخلافة بوصفها إطارًا رمزيًا قادرًا على توحيد المسلمين داخل الدولة وخارجها، وتأخير انهيارها في سياق دولي غير مواتٍ.

وأظهرت الدراسة أن نجاح الجامعة الإسلامية كان نجاحًا نسبيًا ومؤقتًا؛ إذ استطاعت أن تؤدي وظيفة مهمة في احتواء النزعات الانفصالية، وتعزيز التماسك الرمزي، ورفع كلفة الاعتداء الخارجي سياسيًا وأخلاقيًا، لكنها لم تنجح في التحول إلى مشروع مؤسسي طويل الأمد قادر على الصمود أمام التحولات الفكرية والسياسية الحديثة، ولا أمام اختلال موازين القوة الدولية.

كما كشفت الدراسة أن فشل الجامعة الإسلامية لم يكن ناتجًا عن ضعف الفكرة في ذاتها، بل عن هشاشة البنية التي حاولت حملها؛ إذ ارتبط المشروع بشخص السلطان أكثر من ارتباطه بمؤسسات راسخة، وتزامن مع مرحلة تاريخية تشهد صعود الدولة القومية، وتراجع المرجعيات الدينية في المجال السياسي، وتكثف التدخل الاستعماري، وهي كلها عوامل تجاوزت قدرة المشروع على الاستمرار.

وتخلص الدراسة إلى أن الجامعة الإسلامية مثّلت محاولة أخيرة لإنقاذ الدولة العثمانية عبر منطق الوحدة الحضارية، لكنها جاءت في زمن كانت فيه شروط النجاح قد تغيّرت جذريًا، وبذلك فإن قيمتها التاريخية تكمن لا في نجاحها السياسي النهائي، بل في كونها تجربة كاشفة عن حدود الإصلاح في سياق الانهيار الإمبراطوري، وعن تعقيد العلاقة بين الدين والسياسة والهوية في العالم الإسلامي الحديث.

وتفتح هذه النتائج المجال أمام دراسات مستقبلية تقارن بين مشروع الجامعة الإسلامية وتجارب وحدوية أخرى في العالم الإسلامي والعربي، أو تدرس أثر هذا المشروع في الحركات الإسلامية والقومية اللاحقة، بما يسهم في فهم أعمق لمسارات التحول السياسي والفكري في المنطقة.

النتائج والتوصيات:

أولًا - النتائج:

1- توصلت الدراسة إلى أن مشروع الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني كان سياسة دولة واعية ومقصودة، ولم يكن مجرد خطاب ديني أو محاولة رمزية معزولة، بل جاء استجابة مباشرة لأزمة التفكك الداخلي والضغط الاستعماري الخارجي.

2- أظهرت الدراسة أن الجامعة الإسلامية مثّلت محاولة لإعادة بناء الشرعية السياسية للدولة العثمانية على أساس ديني–حضاري جامع، يهدف إلى توحيد المسلمين داخل الدولة وخارجها، وتأخير انهيارها في ظل تراجع قوتها العسكرية والاقتصادية.

3- كشفت الدراسة أن نجاح الجامعة الإسلامية كان نجاحًا جزئيًا ومؤقتًا، إذ أسهمت في تعزيز التماسك الرمزي واحتواء النزعات الانفصالية في بعض الأقاليم، لكنها لم تنجح في معالجة الأسباب البنيوية العميقة للأزمة العثمانية.

4- بينت الدراسة أن فشل المشروع لم يكن ناتجًا عن ضعف الفكرة في ذاتها، بل عن هشاشة السياق التاريخي والسياسي الذي وُضعت فيه، وعن ارتباطها بشخص السلطان أكثر من ارتباطها بمؤسسات مستقرة قادرة على حملها بعد غيابه.

5- أثبتت الدراسة أن التحولات الفكرية الحديثة، وصعود القومية والدستورية، والتدخل الاستعماري المنظم، كانت عوامل حاسمة في تقويض مشروع الجامعة الإسلامية وإضعاف فاعليته.

6- توصلت الدراسة إلى أن خلع السلطان عبد الحميد الثاني مثّل نقطة الانهيار الفعلية للمشروع، حيث فقدت الجامعة الإسلامية حاملها السياسي، وتحولت من سياسة دولة إلى مجرد فكرة تاريخية بلا وظيفة عملية.

7- خلصت الدراسة إلى أن تجربة الجامعة الإسلامية تُعد نموذجًا كاشفًا لحدود الإصلاح الوحدوي في سياق الانهيار الإمبراطوري، ولتعقيد العلاقة بين الدين والسياسة في العالم الإسلامي الحديث.

ثانيًا – التوصيات:

1- توصي الدراسة بضرورة إجراء دراسات مقارنة بين مشروع الجامعة الإسلامية وتجارب وحدوية أخرى في التاريخ الإسلامي والعربي، مثل الوحدة العربية في القرن العشرين، بهدف استخلاص العوامل المشتركة للفشل والنجاح.

2- توصي الدراسة بإعادة قراءة تجربة السلطان عبد الحميد الثاني بعيدًا عن التقييمات الأيديولوجية المسبقة، وبمنهج تاريخي نقدي يوازن بين إنجازاته وإخفاقاته.

3- توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة أثر مشروع الجامعة الإسلامية في الحركات الإسلامية والفكر السياسي الإسلامي المعاصر، خاصة من حيث مفهوم الوحدة والشرعية والهوية.

4- توصي الدراسة بضرورة التركيز في الأبحاث المستقبلية على البعد المؤسسي للإصلاح، وعدم الاكتفاء بتحليل الأفكار والشعارات، لأن غياب المؤسسات كان عاملًا رئيسًا في فشل المشروع.

5- توصي الدراسة بتوسيع البحث في دور التعليم والإعلام في تشكيل الوعي السياسي في الدولة العثمانية المتأخرة، لما لهما من أثر مباشر في نجاح أو فشل مشاريع الإصلاح والوحدة.

6- توصي الدراسة الباحثين بالاستفادة من الأرشيف العثماني والوثائق الأصلية لإنتاج دراسات أكثر دقة وعمقًا حول هذه المرحلة، بدل الاكتفاء بالمصادر الثانوية.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

أولًا – المصادر:

1) المصادر المترجمة / المذكرات:

1. أوغلي، عائشة عثمان، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: أوغلي إكمال الدين إحسان؛ نقلها إلى العربية: صالح سعداوي صالح. ط2، عمان–الأردن: دار البشير، 1991.
2. حرب، محمد، مذكرات السلطان عبد الحميد. ط3، دمشق: دار القلم، 1991.
3. السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية .(1908–1891) ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1977.

ثانيًا: المراجع العربية

1. إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، 1988.
2. إبراهيم، مفيدة محمد، عصر النهضة بين الحقيقة والوهم، عمّان: دار مجدلاوي، 1999.
3. أبو زيدون، وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط. ط2، لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2011.
4. أبو علية، عبد الفتاح حسن، الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير، الرياض–السعودية: دار المريخ للنشر، د.س.
5. الأحمد، محمد علي، سقوط الخلافة: عرب بلاد الشام والدولة العثمانية، عمّان–الأردن: دار الإسراء، 2006.
6. أرمسترونج، هـ.س، الذئب الأغبر مصطفى كمال، القاهرة: دار الهلال، 1952.
7. أنطونيوس، جورج، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية. ط8، ترجمة: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، لبنان: دار العلم للملايين، 1987.
8. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية. ج1، ترجمة: عدنان محمود سليمان، إسطنبول–تركيا: مؤسسة فيصل للتمويل، 1988.
9. أوغلو، أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، إسطنبول: منظمة المؤتمر الإسلامي/مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999.
10. باتريك ماري ملز، سلاطين بني عثمان: صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي. ط1، لبنان: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1986.
11. بني المرجة، موفق، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت: مؤسسة صقر الخليج للطباعة، د.س.
12. بوصفصاف، عبد الكريم، الفكر الغربي الحديث والمعاصر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجًا، الجزائر: دار الهدى، 2005.

13. البيهمي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الفرنسي. ط4، القاهرة: مكتبة وهبة، د.س.
14. بيومي، زكريا سليمان، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية: التحالف الاستعماري اليهودي وتمزيق الدولة العثمانية. (المنصورة): دار العلم والإيمان/جامعة المنصورة، د.س.
15. حران، تاج السر أحمد، حاضر العالم الإسلامي. (أشبيليا)، 2001.
16. الجندي، أنور، تصحيح أكبر خطأ في الإسلام الحديث: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية. (بيروت/القاهرة): مكتبة السنة، د.س.
17. الجندي، أنور، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي. ط2، لبنان: دار الكتاب اللبناني/مكتبة المدرسة، 1983.
18. الجهماني، يوسف إبراهيم، تركيا والأرمن، دمشق: دار حوران للطباعة، 2001.
19. حرب، محمد، السلطان عبد الحميد: آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دمشق: دار القلم، 2009.
20. حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة. ط2، دمشق: دار القلم، 1999.
21. حسن، عيسى، أعظم شخصيات التاريخ (دينية/أدبية/سياسية/علمية/فلسفية)، تقديم: عبد الله المغربي، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2010.
22. حسن، عيسى، الدولة العثمانية: عوامل البناء وأسباب الانهيار، عمّان: دار الأهلية، د.س.
23. حلاق، حسان علي، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1909–1908)، بيروت: الدار الجامعية، د.س.
24. حلاق، حسان، قضايا العالم العربي: القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... بيروت: دار النهضة العربية، 2007.
25. حلاق، حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية .(1909–1897) ط2، بيروت: دار النهضة العربية، 1999.
26. حلمي، مصطفى، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، لبنان: دار الكتب العلمية، 2004.
27. حمدان، جمال، العالم الإسلامي المعاصر، القاهرة: عالم الكتب، 1990.
28. الخراشي، سليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية؟ الرياض: دار القاسم، د.س.
29. الدرواري، محمد زكي ملا حسن، الكورد والدولة العثمانية، دمشق: دار الزمان، 2009.
30. درويش، هدى، الإسلاميون وتركيا العلمانية: نموذج الإمام سليمان حلمي، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1998.
31. سحري، محمد الطاهر، مختصر تاريخ الدولة العثمانية. ج1، عنابة–الجزائر: مطبعة المعارف، 2008.
32. سركو، ماري، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (1908–1876)، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب/وزارة الثقافة، 2010.
33. السقا، محمد صفوت أمين؛ أبو جيب، سعدى، الماسونية. ط2، مكة المكرمة: منشورات رابطة العالم الإسلامي، 1982.
34. سنو، عبد الرؤوف، النزاعات الكيانية في الدولة العثمانية (1877–1881): بلاد الشام، الحجاز، كردستان، ألبانيا، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1998.
35. سوادي، هشام، تاريخ العرب الحديث (1516–1918): من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، عمّان: دار الفكر، 2010.
36. شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي: العهد العثماني، مجلد 8. ط4، بيروت: المكتب الإسلامي، 2000.

37. شمس الدين، نجم زين العابدين، تاريخ الدولة العثمانية، عمّان: دار المسيرة، 2010.
38. الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. ج1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.س.
39. الشيخ، رأفت، تاريخ العرب المعاصر1996 ..
40. الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط2001 ..
41. الصلابي، علي محمد، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، بيروت: المكتبة العصرية، 2013.
42. طعيمة، صابر، الماسونية ذلك العالم المجهول. ط6، بيروت: دار الجيل، 1993.
43. طوران، مصطفى، أسرار الانقلاب العثماني. ط4، ترجمة: كمال خوجة، بيروت: دار السلام، 1985.
44. عزتلو، يوسف بك؛ آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن. (هنداوي)، 2014.
45. العظم، حقي، تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان، مصر: مطبعة الترقي، 1902.
46. عمارة، محمد، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين. ط2، القاهرة: دار الشروق، 1988.
47. عمر، عبد العزيز عمر، في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005.
48. العمري، عبد العزيز إبراهيم، الفتوح الإسلامية عبر العصور، المملكة العربية السعودية: دار أشبيليا، 1421هـ/1999م.
49. عكاوي، رحاب، عبد الرحمن الكواكبي السيد الفراتي، لبنان: دار الفكر العربي، د.س.
50. عودة، محمد عبد الله؛ الخطيب، إبراهيم ياسين، تاريخ العرب الحديث، عمّان: الأهلية، 1989.
51. غربي، الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1916–1288)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
52. غزال، مصطفى فوزي بن عبد اللطيف، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، السعودية: دار الوطنية، 1983.
53. فازان، نزار، أحداث ومشاهير عالمية: سلاطين بني عثمان بين فتنة الأخوة وفتنة الانكشارية، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992.
54. فنا دولينا، نينيل الكسندر، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، ترجمة: أنور محمد إبراهيم. (القاهرة): المجلس الأعلى للثقافة، 1999.
55. الفواز، كليب سعود، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين (1918–1908)، القاهرة: دائرة المكتبة الوطنية، 1997.
56. كمال، مصطفى أتاتورك، الرجل الصنم: حياة رجل ودولة، ترجمة: عبد الله عبد الرحمن. ط2، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013.
57. لورانس، هنري، اللعبة الكبرى: الشرق العربي والأطماع الأوروبية، ترجمة: عبد الحكيم الأربد، بنغازي: الدار الجماهيرية، د.س.
58. الماضي، عيسى بن محمد، كيف ضاعت فلسطين: دراسة للمؤثرات الاقتصادية والثقافية والسياسية في ضياع فلسطين، الكويت: مكتبة المغلا، 1988.
59. مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية. ج2، ترجمة: السباعي بشير، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1992.
60. مسعود، جمال عبد الهادي محمد وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ الدولة العثمانية (1924–1299). ج2، المنصورة: دار الوفاء، 1995.

61. مسعود، جمال عبد الهادي محمد وآخرون، المجتمع الإسلامي المعاصر: مدخل، المنصورة: مطابع الوفاء، 1994.
62. معاليقي، منذر، معالم النهضة العربية في الفكر العربي الحديث، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، د.س.
63. المنصور، ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، عمّان–الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2007.
64. النتشة، رفيق شاكر، عبد الحميد وفلسطين: السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين. ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1991.
65. نوار، سليمان عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، د.س.
66. الهاشمي، عبد المنعم، الخلافة العثمانية، بيروت: دار ابن حزم، 2004.
67. ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. ج2. 1998.

ثالثًا: المقالات والدوريات

1. الصراع حول الهوية والانتماء الغربي–الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية (جريدة الحق الوهراني نموذجًا) 1911–1912، عصور، العدد 6–7، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، جوان/ديسمبر 2005.
2. البوعبدلي، المهدي. "دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين"، مجلة الأصالة، العدد 44، الجزائر، 1977.
3. قدارة، فاتح رجب. "ليبيا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1908م) بين محاولات التحديث ومقاومة الأطماع الاستعمارية"، مجلة الجامعة، العدد 21، المجلد الخامس، كلية الآداب–جامعة الزاوية، أغسطس 2019.
4. سنو، عبد الرؤوف. "السلطان عبد الحميد الثاني والعرب: الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية"، منشورات حوار العرب، العدد 4، بيروت، 2005.

رابعًا: الرسائل الجامعية

1. رضوان، نبيل عبد الحي، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس (1869–1908)، رسالة ماجستير في الدراسات التاريخية، إشراف: محمد بن عبد اللطيف البحراوي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1980–1981.
2. السليمي، هيلة بنت سعد محمد، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: يوسف بن علي رابع الثقفي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، د.س.
3. عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية .(1864–1914) (رسالة ماجستير)، تقديم: أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، د.س.
4. لملم، إبراهيم، المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائله، رسالة ماجستير في الدعوة الإسلامية، إشراف: سعيد فكرة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2010.
5. مهني، عيسى، محمد عبده ومواقفه من قضايا عصره (1849–1905)، إشراف: حاجي فاتح، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014.

خامسًا: المعاجم

1. صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، السلسلة الثالثة، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000.

سادسًا: الكتب الأجنبية

1. Christopher Psilos، *The Young Turk Revolution and the Macedonian Question (1908–1912)*، PhD dissertation, University of Leeds, Department of Russian and Slavic Studies, 2000.
2. Jean-François L'égrin. *L'idée de califat universel et de congres islamique*... Maison de l'Orient et la Méditerranée, Lyon, 2006.